Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Araştırmaları Merkezi Kütüphanesi

موسوعة

الفرق الإسلامية

تأليف

الدكتور محمد جواد مشكور

تقديم

الأستاذ كاظم مدير شانه چي

تعريب

علي هاشم

Beyrut 1415/1995

جميع حقوق الطبع والترجمة محفوظة

مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر

الكتاب: موسوعة الفرق الإسلاميّة.
المؤلّف: الدكتور محمد جواد مشكور.
المعرّب: علي هاشم.
النّاشر: مجمع البحوث الإسلاميّة للدراسات والنشر.
الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
العنوان: بيروت ـ لبنان، ص. ب ٠١١٣/٦٤٨٦

مقدّمة المعرّب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» آل عمران/١٠٣

الحمد لله الّذي وفّقنا لإنجاز مهمّة تعريب هذا الكتاب مع ممارسة لنوع من التحقيق مشفوعة بتدوين الملاحظات، وتثبيت التعليقات بالقدر المتيسّر وذلك في النصف الثاني من الكتاب دون النصف الأوّل منه، لأنّ التأكيد على ممارسة نوع من التحقيق كان متأخّراً، وبالضبط كان بعد إنجاز النصف الأوّل من الكتاب، علماً أنّي لم أكتف بنقل النصوص من الفارسية إلى العربيّة فقط، بل رجعت إلى كلّ ماهو متوفّر من مصادر عربيّة اعتمد عليها المؤلّف، فأضفت إلى بعض الفرق معلومات أُخرى لم يذكرها المؤلّف، ولاحظت عدم الدقّة في ذكر بعض الفرق، أو تفريس بعض المعلومات من المصادر العربيّة، وكذلك لمست أخطاء طفيفة لا يعثر عليها إلّا المراجع المتمكّن من اللّغتين: العربيّة، والفارسيّة.

ولا بدّ من الاعتراف بأنّ هذا الكتاب جهد مشكور للأُستاذ محمد جواد مشكور، وهو عمل موسوعيّ لا يثمّن، ولعلّه فريد من حيث ضخامته وكثرة فرقه إذ أورد فيه مؤلّفه فرقاً مذكورة في مصادر فارسيّة لم تعرّب بعد، ولذلك خلت المصادر العربيّة من ذكرها، بيد أنّ الجدير ذكره هو أنّه أغفل ذكر بعض الفرق الواردة في المصادر العربيّة. وأحسب أنّ سبب ذلك هو إمّا عدم تمتّعها بشأن يذكر، أو عدم اطمئنان المؤلّف لمصادرها، وكذلك فإنّ هذا الكتاب سرد تاريخي لم يُعمِل الكاتب فيه رأيه إلّا نادراً، كما أنّه يفتقد الجانب التحليلي. ولا يخلو من الهفوات والشطحات. ورغم هذا وذاك فإنّ

مبدأ التقويم المنصف يلزمنا الإذعان بأنّه عمل جبّار يدلّ على سعة اطّلاع وغزارة علم. وسيخلد مؤلّفه بخلود ما خطّه يراعه في هذا المجال.

ولكن ربّ سائل يسأل عن جدوى التصنيف في تاريخ الفرق الاسلاميّة مع وجود مؤلّفات كثيرة في هذا الحقل. فأقول بأنّه أوّل كتاب من نوعه باللغة الفارسية إذ أنّ قرّاء الفارسية يفتقرون إلى مثله بل ــ في حدود اطّلاعي ــ لا يستغني عنه قرّاء العربيّة أيضاً بعد تعريبه، وذلك لعدم توفّر كتاب بهذا الحجم، وهذه المعلومات، يتحدّث عن الفرق الإسلاميّة، أو الفرق المحسوبة على الإسلام. و بالرغم من أنّه قدفصّل في بعض الفرق، وأوجز في بعضها الآخر، إلى الحدّ الذي لم يكد الكلام عنها يبلغ السطر الواحد، لكنّه يتحف روّاد العلم، وأهل الاختصاص، وذوي التوجّه الثقافي والعلمي من أهل المطالعة بما يحتاجون إليه. خلال الأشواط التي يقطعونها في فعّالياتهم ونشاطاتهم. و بكلمة واحدة، فقد سدّ هذا الكتاب فراغاً كبيراً كانت تعاني منه المكتبات، ووسامه أنّ كلّ من تقع عينه عليه، أو يطرق اسمه سمعه، يودّ أن يقتنيه.

قد يندهش الإنسان عندما يلتقي بهذا العدد الهائل من الفرق الإسلاميّة ولكن لا أبتعد عن الحقيقة إذا قلت بأنّ كثيراً منها فرق موهومة أو مختلقة، لا سيّما وقد تفرّد مصدر واحد بنقلها، أو أنّها ذكرت عارية من أبسط المعلومات الّتي ينبغي أن تذكر لأيّ فرقة كانت، من قبيل اسم مؤسسها، وشيء من عقائدها، وأمثال ذلك، كما أنّ هناك تجمّعات ضئيلة لا تحمل روح الفرقة وهويّتها في حين أُقحمت مع الفرق، فأصبحت في عدادها. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ بعض الذين كتبوا وألّفوا في الفرق من القدامى كانوا معروفين بتعصّبهم الشديد، مثل عبد القاهر البغداديّ، وابن حزم الأندلسي، وأبي عثمان الحنفي، وغيرهم. ولا يخفى فإنّ التعصّب يعمي و يصم، ولا يذعن للحقيقة، ويجعل صاحبه أداة لتزوير الحقائق، والتجنّي على أصحاب الفضائل، وإلصاق التهم دون وازع من دين أو ضمير، كما نجد مثال ذلك في الطعون والافتراءات الموجّهة ضدّ هشام بن الحكم أو يونس بن عبد الرحمن أو المختار الثقفي وأمثالهم من الّذين تناولتهم أقلام الكتّاب والمؤلّفين بإجحاف قلّ مثيله. وهناك من لا يتورّع عن زيادة أو نقصان شيء إلى عقائد الفرق أو إلى أصحابها. هذا مع تأكيدنا على وجود عدد لا يستهان به من الفرق الفرعيّة المنبثقة عن أُمّهات الفرق القليلة.

و يظلّ موضوع تعدّد الفرق مثار جدال ونقاش، متعطّشاً إلى مقتدر يخوض عبابه ليخرج بنتائج منصفة تنمّ عن نزاهة وصدق. ولكن عندما يثار سؤال حول سبب هذه التعدّديّة الملحوظة في الفرق، فإنّه يلقى جواباً عابراً يتلخّص بالقول: إنّنا عندما نتحرّى

الحقائق ونبحث عنها في بطن التاريخ، نجد أنّ المبرّرات الموضوعيّة لهذا التعدّد قليلة. فالأهواء، والأغراض الشخصيّة، ونزوات حبّ الظهور، والسياسات المنحرفة، وعبادة الأشخاص، وألوان الكبر والعناد والغرور، وخبث التوجّهات، والخلفيّات الجاهليّة، واستهداف الكيد للإسلام وتفتيت قوّة المسلمين، وما إلى ذلك هي الأسباب التي تنسجم وهذه التعدّديّة المؤسفة الأليمة.

ما هي بدايات ظهور الفرق في التاريخ؟ وما هي تطوّراتها؟

لا شكّ أنّ تعدّد الفرق وكثرتها ليس مقصوراً على المسلمين بل هو موجود بين أتباع جميع الديانات، وهذه حقيقة لا بدّ من تثبيتها، فإنّ من يعيب، يعاب؛ ومن يتتبّع العثرات، يقع في فخّ من يتتبّع عثراته. بل وانّ التعدّد يشمل كافّة أصحاب المبادئ الوضعيّة. فهو قائم مادام التناسب طرديّاً بينه و بين طبيعة النفس الإنسانيّة، وبما أنّ الاختلاف سنّة كونيّة، فالتعدّد محصّلة طبيعيّة من محصّلاته، هذا مع ما يحمله من سلبيّات، فلا يخلو من ايجابيّات، لا غرو أنّ المسلمين في غنى عنها إذا ما قيست بالسلبيات المتراكمة ومخلّفاتها.. فلا يحمد تعدّد الفرق بين المسلمين لما تركه من نتائج مذمومة عليهم.

لقد طفق داء التفرقة ينهش في كيان الأُمّة الإسلاميّة من يوم رحيل الرسول الأعظم ـ صلّى الله عليه وآله ـ فكانت فرق المسلمين عرضاً من أعراضه الوبيئة. وكلّ منّا ينعى ذلك التمزّق الّذي طرأ على الأُمّة الاسلاميّة دون أن يتّخذ منه موقفاً صارماً حدّيّاً، أو يتلمّس حقائق التاريخ بإنصاف. فإنّ من أروع روائع حقائق التاريخ هو اتّفاق المسلمين على قطعيّة صدور بعض الأحاديث عن نبيّهم الكريم ـ صلّى الله عليه وآله ـ ومن هذه الأحاديث: حديث الثقلين الّذي يشكّل عاملاً وقائيّاً يحصّن المسلمين بمناعة ضدّ تفشّي مرض التفرقة، وداء تعدّد الفرق.

فبدايات ظهور الفرق ــ إذن ــ تعود إلى عصر الرسالة الأوّل الّذي ينقسم إلى ثلاث مراحل: الأُولى وتبدأ بوفاة الرسول الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتنتهي بخلافة عثمان بن عفّان. وهي المرحلة الّتي نستطيع أن نعبّر عنها بالمرحلة الجنينيّة. وتكمن أهمّيّتها في أنّها مهّدت لظهور الفرق المتأخّرة حيث اتّخذ منها أصحاب هذه الفرق ذريعة لاختلافاتهم. وأهم ما تتميّز به هو بروز الفريق المهاجري، والفريق الأنصاري، والفريق الهاشميّ، مع انحسار دور الفريق الهاشميّ الّذي يمثّل الامتداد الطبيعيّ للنبوّة. أمّا المرحلة الثانية فتبدأ بخلافة عثمان، وتنتهي بموته، وتميّزت ببروز الخطّ الواعي الّذي

جسّده جمع من المسلمين الّذين ثأروا لدينهم وكرامتهم. وكذلك تميّزت بظهور الفرقة الامويّة وعلوّ كعبها. وأمّا المرحلة الثالثة فتبدأ بخلافة عليّ بن أبي طالب وتنتهي باستشهاده. وتميّزت هذه المرحلة بظهور الناكثين والقاسطين والمارقين الّذين جنوا على الإسلام، وارتكبوا أبشع الجرائم بإشغالهم الخلافة الإسلاميّة عن الفتوحات وبثّ الإسلام في أرجاء المعمورة، ووجّهوا للرسالة الإسلاميّة ضربة قاصمة مؤلمة بتعطيلهم دور الإسلام في الحياة، وتوظيف كافّة إمكانيّاتهم لتحقيق ذلك الغرض، وجسّدوا التزمّت والتعنّت والجهل والحمق بكلّ ما لهذه الكلمات من معنى، والأنكى من ذلك أنّهم «يحسبون أنهم يحسنون صنعاً». الكهف/١٠٤.

جاء بعد عصر الرسالة الأوّل: العصر الاموي. ولقد أجاد الأستاذ الدكتور سعيد عاشور أُستاذ التاريخ في جامعة عين شمس بمصر حين وصف تسلّم الامويّين لخلافة المسلمين بأنّه ردّة عن الاسلام. والواقع هو كما قال هذا الأستاذ لأنّ بني أُميّة عطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأمروا بالمنكر، ونهوا عن المعروف، وحقّقوا جميع طموحاتهم بالكيد للإسلام تشفّياً منه، وثأراً لأسلافهم الجاهليّين.

وأهم ما يتميّز به هذا العصر على صعيد الفرق هو: ظهور المرجئة، وبروز الانشقاقات الكثيرة في كيان الخوارج، وبدء التشكيلات الاولى للمعتزلة، وتغذية الخلافات العقائديّة وتنشيطها، وتشجيع المنحرفين على تأسيس المدارس، وعقد المجالس، وذلك لتفتيت الصفّ الإسلامي، والوقوف بوجه الخط الإسلامي الأصيل المتمثّل بمدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام.

ثمّ جاء العصر العبّاسي، فقويت شوكة المعتزلة، وظهرت فرقهم الفرعيّة الكثيرة، وبلغت المذاهب الاسلاميّة الأربعة أوجَها، وبرز الأشاعرة كفرقة مستقلّة، وظهرت فرق محسوبة على الإسلام، وليست إسلاميّة، حيث أسسها أفراد من الأقلّيّات الدينيّة، اندسّوا في صفوف المسلمين لهذا الغرض. وتمرّد بعض أصحاب أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من المنحرفين الّذين لم يتمكّن الإسلام من نفوسهم، فأوجدوا لهم كيانات مفتعلة بدافع العداء والبغض والحسد، وأسّسوا فرقاً كان لها دورها في تسميم عقول المسلمين، وتشتيت وحدتهم، وتبعثر وجودهم.

ويعتبر العصر العبّاسي عصر كثرة الفرق الاسلامية أو المحسوبة على الإسلام، وقوّتها، واستفحال أمرها حيث كانت الأجواء مساعدة على ذلك، ففتح الناس عيونهم، ورأوا الأُمّة الإسلاميّة الواحدة ممزّقة الأوصال، تتوزّعها فرق وكيانات شتّى، يرمي بعضهم بعضاً بالكفر والزندقة.

وهكذا عاشت الفرق الإسلاميّة أو المحسوبة على الإسلام مدّة مديدة من الازدهار والانتعاش، تلتها فترة تذبذب بين الضعف والقوّة، والنشاط والركود، فبرزت فرق أُخرى، وانقرضت فرق قديمة، وذوى عصر تبلور الفرق، فأفل نجمها، ولم يعدلها وجود يذكر، أعني: الوجود المنظّم الفاعل. وبقيت بعض الفرق تراوح في مكانها، إلى أن آل الأمر ببقاء بعض الفرق حتّى يومنا هذا لأسباب موضوعيّة لا مجال لنا لذكرها.

كيف ندرس الفرق الإسلاميّة؟

عندما ننهمك في دراسة الفرق الإسلاميّة وتاريخها، فعلينا أن نتوخّى الحقيقة، ونروم خدمة العلم دون أن نهدف إلى تأييد فرقة، ودحض فرقة أُخرى مالم يقم الدليل الصريح على التأييد والدحض. ومع الأسى الّذي نحمله تجاه موضوع الفرق، لكن ينبغي الانصياع للواقع طوعاً أو كرهاً، حتّى نتعرّف على حقيقة الفرق، ونقف على أحقّيّتها أو بطلانها لئلاّ ننهج الأُسلوب الدعائي في دعم أو تزييف هذه الفرقة أو تلك دون تريّث واتّزان.

إنّنا نسمع بفرق قد انقرضت في التاريخ، وفرق لازالت موجودة. فكلّ منّا يطمح أن يتعرّف على حقيقة كلّ فرقة، وما هو سبب ظهورها؟ ومن هو مؤسّسها؟ وماذا كانت نواياه؟ ومتى ظهرت الفرقة؟ وكم حجمها؟ وهل تستحقّ أن يطلق عليها عنوان: فرقة؟ وهل صحيح أنّ فلاناً من الّذين يسمّيهم التاريخ: رؤساء الفرق، أخبر الناس بفرقته ودعاهم إليها؟ وما هي عقائد الفرقة؟ وهل إنّ كلّ ماورد عن الفرق في المصادر الّتي تتحدّث عنها صحيح؟ وهل كانت الدوافع لتأسيس الفرق دينيّة أو عقائديّة أو سياسيّة أو اجتماعيّة؟ وعشرات الأسئلة الأُخرى. ومع أنّ هذا الكتاب قد تكفّل بالإجابة على بعض تلك الأسئلة الّتي أثرناها، بيد أنّه لم يف بالغرض فيما يخصّ فرقاً كثيرة تطرّق إليها بإشارات عابرة، ممّا يبعث هذا الأمر على التشكيك بصحّة وجود بعض الفرق.

فما نستخلصه هو أنّنا ندرس الفرق الإسلاميّة من وحي ما تمليه علينا عقيدتنا وديننا، فننظر في أمرها نظر النزيه المنصف، ونبحث عنها في جميع الكتب والمصادر متحسّسين، لا متجسّسين، وهادفين، لا مغرضين، ومحلّلين، ولا تالين فقط، لنميّز الصحيح منها عن الموهوم، ونعرف موقع كلّ منها في التاريخ مع التأكيد على الجانب التحليلي في دراستنا لها مترافقاً مع التشخيص الدقيق الصائب، فيكون لنا موقف حكيم عادل إزاء كلّ منها، وننعم في أفياء تربّي أجيالنا على نبذ التفرقة، واطّراح تعدّد الفرق بين المسلمين فقد بُني الإسلام على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

ما هو موقفنا من الفرق الاسلاميّة ؟

نحمد الله على انقراض معظم الفرق ، واندراس آثارها إذ أنّ ما يوجد منها اليوم لا يكاد يبلغ العشرين . بيد أنّا لا بدّ أن نسجّل منها موقفاً يتناسب وماهيّة كلّ فرقة وهويّتها وتطلّعاتها وذلك لأنّها أنواع مختلفة وتراكيب متباينة فمنها الإسلاميّ النظيف ، ومنها المحسوب على الإسلام ، ومنها ذو آراء متعقّلة ، ومنها ذو عقائد سخيفة .. وهكذا فالموقف المتّخذ ينسجم وعقائد كلّ فرقة ، ولا يعني هذا أنّه يتأثّر بماعليه الفرقة من أفكار وآراء ، بل لا بدّ أن يكون له تأثيره في الحكم على كلّ فرقة وتقويمها منطلقاً من رؤية استقلاليّة نقيّة . وعندما يكون لنا موقفنا ، فإنّنا نضع في حسابنا تفريط أصحاب التوجّهات الخلافيّة المشاكسة متعمّدين كانوا أو غافلين ، عالمين كانوا أو جاهلين . فهؤلاء جميعاً مقصّرون مهما كانت أهدافهم وغاياتهم لأنّ الله ـ تعالى ـ لم يترك المسلمين هملاً ، كما أنّ نبيّه الكريم ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يتوان لحظة واحدة في توجيههم وتسديدهم . ومع أنّ الأعاجيب كثيرة في تاريخ المسلمين ، لكن أعجبها هو إجماع المسلمين إلّا نفراً قليلاً منهم على جحود بيعة الغدير ، تلك البيعة التاريخيّة الّتي لم تترك عذراً لمعذّر ، وفيها وحدة المسلمين المنبثقة عن توحيدهم لربّ العالمين ، بيد أنّ الأسى يأكل الحشاشات لما وقع في التاريخ من حوادث مؤسفة بسبب الإعراض عن أهل بيت النبوّة ، وقطيعتهم الدامية من قبل أكثر المسلمين ، على أي حال فلا نريد أن نستعرض أحداث التاريخ ، ونعيد شريطه المؤلم إلّا أنّا نركّز على ما ركّزت عليه بضعة المصطفى سيّدة نساء العالمين في خطبتها الهادفة الواعية حين قالت : « ... وطاعتنا نظاماً للملّة . وإمامتنا أماناً من الفرقة ... » ومنها نفهم أنّ النظام لا يستقيم إلّا بطاعتهم ، كما أنّ الأمان من الفرقة لا يتحقّق إلّا بإمامتهم . ولكن صدّ الصّادّون ، وأعرض المعرضون ومع أنّهم «سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها » على حدّ تعبير الإمام علي ـ عليه السلام .

فموقفنا في كلّ الأحوال ينبع من تلك الرؤية المبدئيّة إرضاءً لله ، والتزاماً بسنّة نبيّه الكريم ـ صلّى الله عليه وآله ـ وتطييباً للضمير مبتعدين عن التهجّم ، مترفّعين عن لغة السباب والشتائم ، مضيّقين لشقّة الخلاف ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

ملاحظات لا بدّ منها

١ ــ لو أمعنّا النظر بدقّة ، واستقصينا الحقائق ، وأطلنا البحث والتنقيب في

خلفيّات الفرق الإسلاميّة ، أو الفرق المحسوبة على الإسلام فإنّا نجد الأصابع اليهوديّة ، أو المسيحيّة ، أو المجوسيّة وراء بعض الفرق من خلال مؤسّسيها الّذين كانوا ينتمون إلى تلك الديانات قبل إسلامهم . ولقد أنصف الدكتور مشكور عندما قال في موضوع الغلاة بأنّ أغلب غلاة الشيعة من عبدان الفرس والشعوب الأُخرى الّذين كانوا على الدين المجوسي أو غيره من الأديان . ولا يخفى فإنّ كثيراً من هؤلاء كانوا يبطنون عقائدهم السالفة ، أو أنّهم كانوا يظهرونها بقالب إسلامي ، أو يمزجونها مع العقائد الإسلاميّة النقيّة فيشوّهوها . ولذلك نلحظ جيّداً الأفكار الترقيعيّة الهجينة الّتي كان يبديها هؤلاء .

هذه ملاحظة مهمّة أذكرها لله وللتاريخ والأجيال دون أن أُصرّح باسم معيّن تجنّباً للإثارة وتهييج الأحاسيس مع أنّ عبد القاهر البغداديّ أشار اليها ونبّه عليها لكنّا لا نتّفق معه في كثير ممّا قال . على أي حال ، لا يقف على هذه الملاحظة إلّا من أُوتي بصيرة ثاقبة .

٢ ــ إنّ الفرق الإسلاميّة أو المنتسبة إلى الإسلام لم تعرف قوميّة دون أُخرى ، أو شعباً دون آخر ، بل كما نجد بصمات الفرس على بعض الفرق ، نجد بصمات العرب على بعض آخر منها ، وكذلك بالنسبة إلى سائر القوميّات كالأتراك والأكراد والبربر وغيرهم ، دون أن نتناسى دور العامل القوميّ في بعض الفرق ، ولكنّ الحقيقة الثابتة تحكي بأنّ انبثاق الفرق وظهورها كان بعيداً عن الدافع القوميّ .

٣ ــ اتّفق أصحاب المصنّفات في الفرق والملل والنحل ، كما اتّفق عامّة المسلمين على إخراج فرق الغلاة من الإسلام أصلاً ، وكذلك القائلين بالحلول والتناسخ وأصحاب الإباحة والمرح الإباحي ، أو الّذين أنكروا شيئاً من أُصول الإسلام وأركانه ممّا يشكّل بحدّ ذاته خروجاً من الدين . أمّا بقيّة الخلافات فلم تُخرج أيّة فرقة أو طائفة من الدّين [1] .

٤ ــ إنّ الكتب الّتي دُوّنت حول الفرق الإسلاميّة كثيرة جداً لكن يعوزها الجانب التحليلي والدقّة والأمانة كما لا يمكن الاطمئنان إلى جميع ما كتب فيها حيث زيد ونقص منها . لا سيّما وأنّ بعض الفرق قد نشأت بدافع سياسي مثل المرجئة في العصر الاموي ، والراوندية والقرامطة في العهد العبّاسي .

٥ ــ لو تعمّقنا في منشأ بعض الفرق ، فإنّا نجده من التفاهة بدرجة يجانب أصحاب

---

١ ـ نقلاً عن مقدمة معجم الفرق الاسلامية لمؤلّفة يحيى شريف الامين بتصرّف .